

في البحث اللساني العربي

بنيات ومبادئ وآفاق جديدة

إعداد:

محمد غاليم

أحمد بريسول

عبد الرزاق تورابي

حليمة الفاحصي





دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - شارع

الملك حسين - مقابل بنك الإسكان

+962 6 4655877

+962 79 5525494

712577 عمان

dar_konoz@yahoo.com

info@darkonoz.com

www.darkonoz.com

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

2023 / 5 / 2838

عنوان الكتاب: في البحث اللساني العربي

تأليف: غاليم، محمد

تأليف آخرون: احمد بريسول ، عبدالرزاق ترابي ، حليلة الفاحصي
بيانات النشر: عمان:- دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2023.

رقم التصنيف: 412.1

الواصفات: /اللسانيات // التحليل اللغوي // علم الدلالة / البلاغة/ اللغة العربية/

الطبعة : الاولى

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي

دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى



الطبعة الأولى
1445 هـ ≈ 2024 م

جميع الحقوق الملكية والفكرية محفوظة، ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنفيذ

الكتاب كاملاً أو مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على كمبيوتر أو برمجته على

إسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطي

المحتوى

7..... تقديم

الباب الأول

9..... بنيات ومبادئ

- ◀ أحمد بريسول / جامعة محمد الخامس، الرباط
- 11..... الاستعارة والتوليد الدلالي: الإدراك والحركة نموذجًا
- ◀ أدبية بكور / جامعة محمد الخامس، الرباط
- 45..... الترجمة الآلية ورهاناتها في زمن العولمة
- ◀ م. العربي بيلوش / جامعة محمد الخامس-الرباط
- 59..... التركيب المعجمي والتمثيل القاموسي
- ◀ عبد الرزاق تورابي / جامعة محمد الخامس، الرباط
- 71..... الموسومية والتأمر في الصواتة
- ◀ باعزیز ترمینا / جامعة محمد الخامس
- 91..... مقارنة دلالة المحاكاة المتجسدة للمعنى
- ◀ حميد دغوج / جامعة محمد الخامس، الرباط
- تدريس البلاغة، بين القواعد والتصورات
- 137..... الاستعارة في مجال الأفعال نموذجًا
- ◀ عز الدين الزياتي / جامعة محمد الخامس، الرباط
- 155..... استراتيجيات متعلم اللغة الثانية من منظور اللسانيات التطبيقية
- ◀ السعدية صغير / جامعة محمد الخامس، الرباط
- 175..... بعض الخصائص الدلالية للأفعال النفسية
- ◀ محمد غاليم / جامعة محمد الخامس
- 197..... عن عقلانية الاستكشافيات، أو نحو بناء طبيعي للعقلانية
- ◀ حليلة الفاحصي / جامعة محمد الخامس، الرباط
- 223..... اللغة والتوحد ونظرية الذهن

الباب الثاني

آفاق جديدة.....241

القسم الأول

- عن كتاب: اللغة بين ملكات الذهن، بحث في الهندسة المعرفية، لمحمد غاليم
باعزيز ترمينا/ جامعة محمد الخامس
- 245.....للأستاذ محمد غاليم
- 273.....الهندسة المتوازية وامتداداتها
- 295.....نموذج التوازي في نظرية الذهن
- المظاهر المعرفية المشتركة بين اللغة وباقي الملكات عند محمد غاليم،
حليم الفاحصي / جامعة محمد الخامس، الرباط
- حميد دغوج/ جامعة محمد الخامس، الرباط

القسم الثاني

- عن كتاب: متصل المعجم اللغوي والمعجم التواصل، أو القاموس
الذي لا يمكن أن يوجد، لأحمد بريسول
- 315.....المعجم بين قيود اللغة وإبداعية التأويل
- رشيد الشبنشني/ جامعة محمد الخامس، الرباط

القسم الثالث

- عن كُتُب الصَّرَافَة لعبد الرزاق تورابي
- 357.....الصواتة العربية من منظور جديد للدكتور عبد الرزاق تورابي
- محمد كريم/ جامعة محمد الخامس، الرباط

الهندسة المتوازية وامتداداتها

قراءة في كتاب

"اللغة بين ملكات الذهن، بحث في الهندسة المعرفية"، لمحمد غاليم

مقدمة

يقدم محمد غاليم - وهو يواصل مشروع التفكير في بنية المعنى في اللغة العربية واللغات الطبيعية عمومًا نظريًا وتجريبيًا - نموذجًا للهندسة المتوازية⁽¹⁾، يمكن من إعادة النظر في الهندسة التقليدية للنحو التوليدي كما صاغه شومسكي. وتقوم الهندسة المتوازية على مكونات توليدية متعددة، تتضمن مخرجاتها متغيرات موحدة عن طريق القواعد الوجيهة، التي تتواشج فيها كل من القوة التأليفية للغة، والسمات الفرادية التي يحتملها كل مستوى من مستويات النحو.

إنه مشروع يعيد النظر في كيفية تنظيم نحو اللغات الطبيعية في علاقته بالمعنى، ويكشف عن قصور التركيب وحده عن "صياغة كل ما يتعلق بالاكتساب، والفطرية والاستدلال عليها". ويرى غاليم أن التيار التوليدي لم يُعر الدلالة والصوتية أي دور توليدي، فألقى بالدلالة إلى مجالات غامضة سميت أحيانًا "بالمعرفة الموسوعية"⁽²⁾، وحدد دور الصوتية في التهجية. إضافة إلى هذه المعطيات هناك من الأسباب ما جعل غاليم يتبنى الهندسة الثلاثية بدل النموذج المعياري. أولها، أن الهندسة الثلاثية تسمح لنا بوضع الملكة اللغوية ضمن باقي ملكات الذهن، فيتيسر بذلك البحث في علاقات التوازي التي تربط بين مكونات اللغة، من جهة، وتربط اللغة بباقي مكونات الذهن/الدماغ من جهة أخرى، وهذا يسهّل البحث كذلك في دور الواجهات وكيفية

(1) يحال على "الهندسة المتوازية"، عند محمد غاليم، أحيانًا بـ "الهندسة النحوية المتوازية" وبـ "نظرية الدلالة التصورية".

(2) غاليم محمد، 2007، النظرية اللسانية والدلالة العربية، مبادئ وتحاليل جديدة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب. ص، 15.

ربطها بين اللغة والفكر، وكيفية نقلها للمعلومات من صورة في مستوى معين، إلى صورة أخرى في مستوى غيره⁽¹⁾. وثانيها، أن المكون التركيبي، بمعناه التقني في النحو، مكون وظيفته الربط بين الصوت والمعنى من خلال التنظيم الصوري للمقولات التركيبية كالمركب الاسمي والمركب الحرفي والمركب الفعلي. وليس المقصود بالتركيب (syntax) أي نسق تألفي بالمعنى العام الذي يصدق على تأليفية الأصوات وتأليفية الموسيقى وتأليفية القضايا (propositions) (أو الفكر) الخ. وثالثها، إرجاع النحو التوليدي إلى بيئته المعرفية الطبيعية التي انطلق منها، كما وعد بذاك شومسكي ولم يف بوعده.

نبين في هذه القراءة خلفيات هذه الهندسة، ونوضح مفهوم الوجهات وسيرورات اشتغالها داخل النسق اللغوي وغير اللغوي، كما نكشف عن امتدادات الهندسة المتوازية في حقول معرفية أخرى كالבصر والموسيقا إلى جانب تجذرها في اللغة.

1. الهندسة المتوازية، المفهوم والخلفيات

هندسة التوازي مقارنة معرفية لسانية دلالية حول تحقق المعنى، في اللغات الطبيعية وفي أنساق أخرى، وترى أن اللغة نظامٌ متعدد المستويات، ومن ثمة تفصل بوضوح بين الصواتة (الفونولوجيا)، والتركيب، والدلالة، وتحترم المكونات الفرعية لكل مستوى. وضمن سيناريو محبوك تجعل هذه المستويات متفاعلة فيما بينها عبر الوجهات، قصد بلوغ فحوى الكلام، أقوالاً أو مركبات أو جملاً (أو إشارات في لغة الإشارة). ويمكن إرجاع انبثاق الهندسة المتوازية إلى عاملين كبيرين. يتمثل الأول في النتائج التي أسفرت عنها الأبحاث في العلوم المعرفية عامة، وعلم النفس المعرفي والعلوم العصبية على وجه التحديد، في ما يخص اهتماماتها بوظيفة الذهن/الدماغ

(1) الوجه هو المستوى الذي تلتقي فيه أنظمة مستقلة، وتتفاعل أو تتواصل في ما بينها على أساسه، مثل، وجاه آلة-إنسان. ويعرفه غاليم (2021، ص. 163) "من وجهة نظر عامة، باعتباره نقطة التقاء مشتركة بين مجالات مختلفة، ومن وجهة نظر خاصة، باعتباره أداة صورية يتفاعل بواسطتها نسقان مستقلان أو أكثر".

البشري وكيفية اشتغاله. ويتمثل العامل الثاني في التوجه الذي فرضه تيار النحو التوليدي التقليدي، مع شومسكي، القائم على مركزية التركيب التي حافظت على توليدية التركيب، وتأويلية الصوارة والدلالة منذ 1965 إلى 1986، فظهر بذلك أن النحو الذي يبني فلسفته على مستوى واحد فقط من مستويات النحو، يسير نحو أفق مغلق.⁽¹⁾ فطرح السؤال كيف يمكن جعل البحث في المعنى اللغوي وعلاقته بالتركيب والصوارة قادرا على إعادة البحث اللساني التوليدي إلى بيئته المعرفية الطبيعية، البيئة الأكثر اتساعا ومردودية؟

I.أ. كيف نضع النحو في بيئته؟

وجاء الجواب واضحا، كما يقول محمد غاليم. فلجعل البحث في المعنى ذا أفق أرحب، يجب وضع الدلالة باعتبارها دراسة للمعنى "في إطار دراسة الذهن/الدماغ الوظيفي وشبكة العمليات المعرفية التي يقوم عليها. فتهتم بتخصيص النسق التألفي للمعنى باعتباره نسقاً توليديا مستقلاً بأوليائه ومبادئه، وتخصيص وجاهاته المتصلة بمستويات العبارة اللغوية، وبباقي الأنساق الذريعية والإدراكية الواردة"⁽²⁾. ولن يكون ذلك إلا ضمن نظرية كنظرية الدلالة التصورية أو الهندسة المتوازية، التي تتوسع لتشمل إلى جانب الدلالة اللغوية، مباحث خارج لغوية، من قبيل المعرفة، والتخطيط والإدراك، والفهم الثقافي، والأخلاق؛ وكذا ربط التفسير اللغوي المبدأ بأنظمة عضوية أخرى يمتلكها الإنسان، تتواشج و"مبادئ غير خاصة باللغة"، مثل النسق البصري والنسق الموسيقي. فكان لزاماً أن تُحدّد مهام البنية التصورية

(1) "خلال السبعينيات والثمانينيات تطورت عدة نظريات دلالية مختلفة جذريا عما سبق. منها، مثلاً، الدلالة الصورية (بارتي 1976)، والنحو المعرفي (ليكوف 1987، وفوكونيه 1984، ولينيكير 1987، وتلمي 2000)، والدلالة التصورية (جاكندوف 1983، 1990، وبنكر 1989، وبوستيوفسكي 1995)؛ إضافة إلى أعمال هامة تمت في إطار اللسانيات الحاسوبية وعلم النفس المعرفي. وهي أطر مهمما كانت الاختلافات بينها، تتفق كلها على أن الدلالة نسق توليدي مستقل بخصائصه التأليفية، ولا يقوم على وحدات تركيبية كالمركبات الاسمية والفعلية، وإنما يمتلك أوليائه الدلالية ومبادئه الذاتية الخاصة". غاليم (2007).

(2) جاكندوف 2002، ص. 8.

ضمن هندسة الذهن العامة.⁽¹⁾ فَتُخَصَّصُ البنيةُ التصويرية باعتبارها "نسقا مركزيا من انساق الذهن، وبنية تُرْمِزُهَا اللغة في صورة قابلة للتواصل"، لتصبح مرتكز الدلالة اللغوية، ومرتكز الاستنتاج والارتباط بالإدراك والفعل غير اللغويين⁽²⁾. وهذه إشارة قوة إلى كون "البنية التصويرية سابقة ابستمولوجيا عن البنية اللغوية" من حيث التعلم أو التطور⁽³⁾. والدليل على ذلك ظهورها عند الرضع حيث تكون "البنيات التصويرية أنماطا من التمثيل الذهني تستعمل للتفكير لا للتواصل". ومن ثمة فالأفكار التي تعبر عنها اللغة تبني وفق تنظيم معرفي هو البنية التصويرية، التي لا تعد جزءا من اللغة في حد ذاتها؛ وإنما هي كما ترى ذلك نظرية الدلالة التصويرية جزء من الفكر، وموقع لفهم الألفاظ اللغوية في السياق، مع تضمين الاعتبارات الذريعية و"المعرفة الموسوعية"؛ إن البنية التصويرية بنية معرفية، يتم فيها التفكير والتخطيط، وإدراك المعنى. وبهذا الطرح تتجاوز فرضية البنية التصويرية العديد من أهداف الدلالة اللغوية، التي تستثني جميع الاعتبارات الذريعية والسياقية، لتحصر المعنى في البنية الدلالية اللغوية المحكومة فقط بالسياق اللغوي⁽⁴⁾، كما هو الحال مع شومسكي والتقليد التابع لنظريته التركيبية منذ 1965. كل هذا يؤدي، في نظرية الدلالة التصويرية، إلى اعتبار الدلالة نسقا توليديا مستقلا بخصائصه

(1) تعد فرضية البنية التصويرية، مستوى مستقلا من التمثيل المعرفي، يمثل فيه للتصورات عبر عدد محدود من "المبادئ التصويرية التي تهم أنساق الدلائل عموما" وهي ذات بعد ذهني تألّفي أو بعبارة أخرى هي المحتوى التصوري المخزن في الذهن عن الأفكار والمشاعر التي توجد بشكل مستقل عن اللغة، وعن المبادئ التصويرية تتفرع المبادئ الدلالية التي "تهم الانساق الدلالية في اللغات الطبيعية"، وهي ذات أساس معجمي سياقي. إن البنية التصويرية بناء داخلي له من الأسس الأحيائية ما يجعل من العالم شيئا قابلا للتمثيل، تبعاً لتجاربنا معه، ومن ثمة فالبنية التصويرية بعد تصوري معرفي يجمع بين التجربة الجسدية والثقافة، "فكل تجربة ثقافية، وتجربتنا مع العالم تتم بشكل تكون فيه ثقافتنا حاضرة باستمرار في التجربة نفسها" مما يعني أن ما نمتلكه من معلومات إنما هو تأويل للعالم الخارجي، كما نتمثله وليس كما هو موجود، (غاليم 1987، ص، 39 و 94 و 95)، وذلك تبعاً لمقولة تجاربنا فيه ومقولة أشيائه حتى تصبح ذات معنى بالنسبة إلينا، معنى تحدده الطريقة التي نرى بها الخارج ونتصوره داخليا.

(2) غاليم، 2007، ص، 33.

(3) نفسه، نفس ص، 33. وانظر، غاليم، 2021، ص، 308، حول علاقة تفاعل نظرية الذهن واللغة.

(4) Jackendoff, 2002, p. 123.

التأليفية، وغير مشتق من التركيب، أي إنه لا يقوم على وحدات تركيبية كالمركبات الاسمية والفعلية، وإنما يمتلك أولياته الدلالية ومبادئه الذاتية الخاصة⁽¹⁾. وهذه نتيجة تتفق حولها الدلالة التصورية، والنحو المعرفي،⁽²⁾⁽³⁾. وبحوث أخرى في اللسانيات الحاسوبية، وعلم النفس المعرفي، بحوث أثبتت، خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، أن الصوتات والدلالة مستقلتان بأوليائهما ومبادئ تأليفهما.

ومن هنا صار الهدف الأساسي للدلالة التصورية هو وصف كيفية تعبير بني البشر عن فهمهم للعالم من خلال الكلام، على أساس أن الكلام هو الوسيط الذي ينقل المعنى الذي في الرأس عبر الأصوات والتراكيب، وأن التركيب وحده غير قادر على نقل المعنى عبر المركبات والجمل وفي كل السياقات الكلامية، كما ثبت ذلك تجريباً في البنية المحورية. ومن هنا وجب أن تكون البنية التصورية مستوى مستقلاً عن التمثيل المعرفي يمثل فيه للتصورات عبر عدد محدود من الأوليات، ومجموعة من مبادئ التأليف بينها. وتكون أيضاً متوازية مع البنية التركيبية والصواتية كذلك، ضمن هندسة متوازية يتواشج فيها الصوت والتركيب والبنية التصورية قصد بلوغ المعنى، ويكون الربط بينها عبر الوجاهات. ولما كان بناء المعنى يحتاج إلى السياق والبنية المعجمية والنحوية للكلام، تبين أن بلوغه يحتاج إلى تأويل وفهم وإدراك هذه السياقات والوجاهات التي تربط بين مستويات اللغة من جهة، وتربط اللغة بأنساق معرفية أخرى من جهة ثانية. ومن ثمة أصبح دور الوجاهات داخل الهندسة المتوازية ضرورة نظرية وتجريبية. فما هو الوجه؟

(1) غاليم، 1999، ص، 80.

(2) مع ذلك تختلف الدلالة التصورية عن النحو المعرفي في كونها:

تلتزم بمستوى مستقل من التمثيل التركيبي بدلاً من التخلي عنه؛

تلتزم بالصورنات الصارمة، قدر الإمكان، على أساس أن المعالجة الصورية هي أفضل طريقة لجعل النظرية قابلة للاختبار؛

تتواصل مع النتائج ذات الصلة بعلم النفس المعرفي؛ بدلاً من ترك هذه العلاقات ضمنية؛

تلتزم باستكشاف قضايا قابلية التعلم؛ وبالتالي إمكانية وجود أساس فطري قوي لاكتساب التصور.

(3) Jackendoff, 1989, pp. 77-78.

I.ب. حول مفهوم الوجه:

الوجه مفهوم نظري وإجرائي مركزي داخل النظرية اللسانية، وفي الحقل العلمي عمومًا، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بنظرية الأنساق المركبة. وقد [تأكد] حضور الوجه بقوة في القضايا الشائكة المتصلة بتصميم اللغة واكتسابها واستعمالها وعلاقاتها بصور المعارف الأخرى⁽¹⁾. ويرتبط مفهوم الوجه أيضًا بمفهومين آخرين، تبعًا لمحمد غاليم، هما مفهوم "خصوصية المجال"، ومفهوم "المنع من حيث المعلومات"⁽²⁾، وتعد "دراسة هذه الخصائص الوجهية وطبيعتها وتقييدها للنظرية النحوية، من اهتمامات نظرية الدلالة التصورية (أو التوازي النحوي). وقد ظل مفهوم الوجهات غامض المضمون في البرنامج الأدنوي ونماذج نحوية أخرى مثل نموذج (رينهارت 2006) حيث لم يتم تحديد خصائصها الذاتية التي تربطها بالقدرة اللغوية. ويحضر الوجه داخل هندسة النحو التي تعنى بمكونات النسق اللغوي ومستويات التمثيل فيه، وعلاقتها الوجهية ببعضها، وعلاقات النسق اللغوي كله بغيره من الأنساق التي تشكل بنية الذهن/ الدماغ.

والوجهات نوعان، وجاهات خارجية، وهي التي تربط اللغة بباقي الأنساق الإدراكية أو الملكات، فتربط اللغة بالمستوى الصوري، كالوجه الرابط، مثلًا، بين المعنى اللغوي والنسق البصري، لتحديد مستوى تأثير اللغة في التفكير، والمستوى النفسي/ الوظيفي، حيث يتم الاهتمام بوقت استيعاب "المجال البصري والمعرفة العامة حول العالم وتحليله خلال تحليل الجمل اللغوية، والمستوى العصبي، الذي يُدرّس لفهم طرق ترابط مكونات الدماغ التي تربط اللغة "بباقي الأجزاء -الدماغ- التي تهتم الإدراك وصياغة العمل، والمعرفة بخصوص العالم"⁽³⁾. ويربط الوجه الخارجي بين ما تنقله

(1) غاليم، محمد، 2021، ص، 161.

(2) غاليم، محمد، 1999، ص، 395، وص، 401. ارتباطًا بخصوصية المجال مثلًا، يتم معالجة الأصوات ضمن آليات الدخل التي تهتم الأصوات اللغوية فقط، وبخصوص المنع من حيث المعلومات، مثلًا، لا يمكن للذات أن تحيط بكل المعلومات الممثلة داخليًا، لأن مبدأ السرعة يفرض التعامل مع الجزء الأهم من المعلومات.

(3) غاليم، محمد، 2021، ص، 165.

اللغة من تصورات وأنساق أخرى، مثل: نسق الاستنتاج، ونسق المعرفة الاجتماعية، ونظرية الذهن، والأنساق الإدراكية، ونسق العمل، من بين أنساق أخرى. وكل هذه الوجاهات "تلتقي في بنية ذهنية معرفية مشتركة هي البنية التصويرية [ويجب أن] تتفاعل في ما بينها لتمكن الإنسان من بناء تصور موحد حول العالم"⁽¹⁾.

أما الوجاهات الداخلية فتربط بين مستويات النحو، أي تربط "بنيات النسق التألفي الدلالي بالبنيات اللغوية الأخرى التركيبية والصوتية"⁽²⁾ وهي نابعة من التصور القالبي ذي الأساس النفسي المعرفي، الذي عوض التصور الاشتقاقي. ويعني حضور الوجاهات الرابطة بين مستويات النحو في نظرية الدلالة التصويرية، أن النحو مستويات مستقلة ومتفاعلة في الآن نفسه؛ وهو تفاعل محكوم بمجموعة من قواعد التوافق باعتبارها قيوداً غير سلسلية في الزمن، تشتغل ذهاباً وإياباً بين مستويات النحو، على أساس أن لكل مستوى أولياته ومبادئ تأليفه. ومن ثمة صار التركيب مثله مثل المستوى الصوتي والمستوى الدلالي، تميزه مجموعة من الأوليات ومجموعة من مبادئ التأليف بينها. ولذلك صار كل انجاز لجملة يجد ما يوافقه في بنية الذهن، يحرك "مخزون التصورات" باعتبارها "مجموعة محدودة من الأوليات ومجموعة من مبادئ التأليف الذهني" القادرة على استيعاب لا محدودية البنيات التركيبية.

وينظر إلى الوجهاء، في نظرية الدلالة التصويرية، باعتبارها التمثيل الذي ينقل المعلومات من صورة إلى صورة أخرى، لخلق الفهم والإدراك. إنه رابط يصل اللغة بالفكر، على أساس أنهما "وظيفتان ذهنيتان ترتبطان بمستويين تمثيليين متميزين تصل بينهما قوالب وجاهية"، إذ يمكن للفكر أن يقوم بعمليات ذهنية خارج اللغة، رغم ما لها من تأثير فيه يجعله "يعيش التجربة باعتبارها صوراً لغوية"⁽³⁾، كما يمكنه أن يعيشها في صور أخرى من أنساق الإدراك⁽⁴⁾.

(1) نفسه، ص، 176.

(2) نفسه، ص، 147.

(3) غاليم، 2007، ص، 87.

(4) صور صوتية، أو شمعية، أو لمسية، أو بصرية، أو ذوقية، أو فضائية.

ضمن هذا السياق سعى محمد غاليم إلى تطوير نظرية بديلة للمعنى اللغوي، تسمى الهندسة المتوازية، هدفها تقديم تكامل مبدئي بين مكونات اللغة واهتمامات نفسية عامة، بما في ذلك معالجة اللغة واكتسابها؛ مع الاحتفاظ برؤى البحث على جميع الأجزاء المكونة -للغة-، إضافة إلى البحث عن إيجاد طريقة لتلاؤمها معاً. فكانت الهندسة المتوازية التي تتضمن نظرية جوهريّة للمعنى، تنهل من البحث في المعرفة غير اللغوية، كالمعرفة الفضائية، والمعرفة الاجتماعية، وغيرها⁽¹⁾. وبذلك امتدت هذه الهندسة لتشمل مجموعة من الحقول المعرفية نتناول ثلاثة منها هي النسق اللغوي والبصري والموسيقي.

2. امتدادات هندسة التوازي

2 - أ هندسة التوازي في النسق اللغوي:

تعني الهندسة المتوازية، ضمن نسق اللغة، أن العلاقة بين مستويات التمثيل اللغوية -الصوت-التركيب- التصور، لا تحدث متفرقة أو متتالية أثناء التحليل، وإنما تحدث دفعة واحدة لكن "عبر مسارات مختلفة ومتوازية"، فينظر إلى الجملة باعتبارها بنية موزعة على عدد من البنيات، تربط بينها مكونات وجاهية⁽²⁾، إنها نظرية لتنظيم مكونات النحو والظواهر الدلالية، وتنسجم "مع الخصائص الهندسية المتوازية التي تتصف بها الأنساق الأخرى غير اللغوية في بيئة الذهن/الدماغ المعرفية العامة"⁽³⁾، كالنسق البصري، والنسق الموسيقي، والبنية العصبية، والتحليل الحاسوبي. وفي هذا الإطار تمت مراجعة هندسة النحو وتحديد مستويات التمثيل اللغوي في اللغات الطبيعية، فألغيت فكرة اشتقاق مستوى من مستوى آخر، وصار كل مستوى نسقاً توليدياً مستقلاً بأوليّاته وطرق تأليفها، فالنسق التركيبي قائم على الاسم والفعل والحرف والصفة والظرف، تتفاعل مع المقولات الوظيفية لبناء الجمل، والنسق الصوتي قائم على المقطع والكلمة وما يتعلق بهما من نبر وتنغيم،

(1) Jackendoff, 2015, p, 189.

(2) محمد، غاليم، 2021، ص، 183.

(3) نفسه، ص، 188.

والمستوى الدلالي نسق قائم على كيانات أو مقولات أنطولوجية كـ: "الشيء والمكان والحدث والعمل والمسار والحالة والخاصية والمقدار والزمن.. إلخ. هي بمثابة أقسام كلم دلالية تعين المقولات الانطولوجية الكبرى... التي نعتبر، بحكم هندسة أذهاننا، أن العالم يتضمنها"⁽¹⁾، إضافة إلى دالات تبني عليها التصورات ضمن بنية دلالية قاعدية/بنية تصويرية؛ مثل: ذهب، مكث، وجد، وتحرك، وأثر، وجعل.. التي تقتنر بالحالة أو الحدث، تبعاً لدلالة الفعل والحقل الذي ينتمي إليه⁽²⁾. وتستوعب المقولات الأنطولوجية المقولات التركيبية وتتجاوزها، بحيث تصبح الأسماء ممثلة بالأشياء، والأفعال ممثلة بالأحداث، والصفات ممثلة بالخصائص، والظروف ممثلة بالكيفيات، وتصبح الحروف أمكنة ومسارات، لتعبر عن تفاعل اللغة والمعرفة، بالمعنى الواسع، داخل البنية التصويرية. ومن ثمة لم يعد الإسقاط أحاديًا بين البنية التركيبية والبنية الدلالية التصويرية، من منطلق أن لكل نسق أولياته ومنطقه الداخلي، لكنهما نسقان متفاعلان عبر الوجهات التي تعمل على "ترجمة جزئية للمعلومات من صورتها في مستوى معين إلى الصورة التي توافقها في مستوى آخر". فالوجه الجزئي بين الدلالة والصوات لا يهمله، مثلاً، سوى النبر والتنغيم والبؤرة ولا علاقة له بالتركيب، والوجه التركيبى-الدلالي لا يلتفت إلا لما يربط التركيب بالدلالة، فأعراب الرفع الذي يسند للفاعل في البنية النحوية التركيبية لا يراه هذا الوجه إلا إن كان فاعلاً حقيقياً/ منفذاً، وإلا فإن المكون الوجهي لا يلتفت إلى الرفع⁽³⁾، فتغتني الملكة اللغوية من هذا التفاعل الحاصل بين "القوالب التمثيلية والقوالب الوجهية"⁽⁴⁾.

هكذا إذن، مادام لكل مكون أولياته وطرق تأليفها لم يعد من الضروري إقامة علاقة "اشتقاقية"/"تأويلية" بين مستويات النحو، وصار الربط بين التركيب والدلالة وبين الصواتة والتركيب قائماً على أساس القيود. وبذلك تم الحد من الهيمنة التركيبية وفسح المجال للقيود الوجهية.

(1) غاليم، 1999، ص. 24.

(2) غاليم، 1999، صص. 185-186.

(3) انظر، غاليم، 2021، صص. 177-181.

(4) غاليم، 2007، ص. 18.

2-أ-1 القىوء الءاهىة:

هى قىوء تسمح برىب مستوىاء النءو اءاءل النسق اللغوى؁ ورىب ملكة اللغة بملكاء وانساق إءراكىة أءرى؁ نفسىة وعصبىة؁ إنها قىوء على المعانى اللى يفرزها النسق اللغوى؁ من جهة؁ وعلى علاقة النسق اللغوى بأنساق أءرى من جهة ثانىة. وءعمل القىوء الءاهىة على ءلق ءوافق مؤسس غاىءه بلوغ المعنى اللغوى الموزع بىن صوء وءركىب وءلالة. والأهم فى هءه القىوء أنها ءءمءع بالمرونة؁ إذ بمكن لمءموعة من القىوء أن "ءؤءر فى ءأوئل؁ لكن بمكن أن بءاءوزها قىء أءر أو أكءر [...] بكون كافىاء لءرجىء ءءللل مءءء؁ لكنى فى سىاقاء أءرى لا بكون ضرورىاً بل بمكن ءرقه"⁽¹⁾. وبهءا ءاءوزء هءءسة ءوازى مركزىة ءركىب فى النءو ءءولىءى رغم اءفاقهما ءول المفاهىم العامة اللى ءءء اللغة؁ باءءبارها مكونا أءىائىاء قائما على معجم ونءو؁ لءءء باب البءء فى المعنى ضمن مباءء أءرى مءءءءة؁ ءءل من ءلالة اللغوىة بءءا فى المعرفة اللغوىة وعلاقاءها بالءهن والعالم وما نعرف عنه؁ وطرق ءفاعلاها وءءصىل المعنى. وبرى محمد غالىم؁ أن الءاهاء سىروراء معرفىة ءصورىة فاعلة ومنفعلة؁ بءكم ءور الذى ءلعبه فى ءمكننا من اسءءءام أنساقنا السمعىة لاسءءبال الكلام؁ واسءءءام أنساقنا ءركىة لإرساله؁ كما ءمكننا "من اسءءءام اللغة للءعبىر عن إءراكاءنا وأفكارنا؁ كما هو ءال فى الأعمال اللى ءءرس الءاه الواصل بىن المعنى اللغوى والنسق البصرى (والفضائى)؁ والأعمال اللى ءنظر فى ءأىر اللغة فى عملىة ءءكىر ومضمونه"⁽²⁾.

2-أ-2 هءءسة ءوازى مءابل مركزىة ءركىب:

ءءقق الهءءسة المءوازىة مع النءو ءءولىءى ءءقلىءى (عءء شومسكى وأءباعه)؁ ءول كون المعجم مءموعة من الوءءاء والمركباء اللغوىة (أى ءمءىلاء ءهنىة) اللى

(1) جاكءءوف؁ 2007؁ ص؁ 18.

(2) غالىم؁ 1999ب؁ ص؁ 92.

يخزنها متكلمو لغة معينة في الذاكرة البعيدة المدى؛ وأن النحو هو مجموع الإجراءات الحوسبية التي يعتمد عليها المتكلمون لإنجاز بنيات تركيبية جديدة، خاصة البنيات التي تربط المعنى بالصوت (أو ربط الإيماءات بالمعنى في لغة الإشارة)؛ وأن النحو الكلي أو جهاز اكتساب اللغة⁽¹⁾ هو مجموع الإجراءات التي يعتمد عليها متعلمو اللغة لبناء النوعين المذكورين أعلاه من المعرفة أي (النحو/ المعجم). لكن أجوبة الهندسة الثلاثية تختلف عن إجابات النحو التوليدي التقليدي عند شومسكي بخصوص هذه الأسئلة. والاختلاف الأول الكبير هنا حول الهندسة العامة للنحو، فالنحو التوليدي التقليدي ينظر إلى المكون التركيبي باعتباره مصدر توليد البنيات التأليفية في اللغة، "فكل شيء في المعنى يجب أن يكون قد اشتق من شيء ولد في التركيب"⁽²⁾، بحيث يعتبر المكون الصوتي والمكون الدلالي مستويين تأويليين مشتقين منه⁽³⁾. وهذا ما اعتبره شومسكي (1965، ص- ص، 17، 95، 198) مجرد افتراض لم يدافع عنه ضد بدائل رصينة أخرى⁽⁴⁾، مثل ما أثبتته البحث اللساني أوائل السبعينيات حول استقلال الصوتية عن التركيب، وامتلاكها لمبادئ تأليفية مستقلة مع (غولدسميث 1979، ولايبرمان وبرانس 1977، وسيلرك 1984). وبحلول الثمانينيات من القرن العشرين ثبت أن الدلالة مستوى نحوي يساهم في بناء المعنى وفق مبادئ وأليات

(1) يقول جاكندوف (2015): "كان الخلاف الأكبر هنا حول ماهية هذه الإجراءات؛ فهي عامة المجال أم خاصة المجال، إن وجدت؟ (لسوء الحظ) استأثرت هذه القضية باهتمام عدد من المفكرين، مثل إيلمان (1966)، هاوز، شومسكي، وفيش (2002)، لايكوف (1987)، وطوماسيلو (1995). أعتقد أنه سؤال تجريبي وليس مسألة إيديولوجية، انظر: جاكندوف (2002)، (2011)، وبينكر، (2005)". وانظر الهامش 2 في نفس المرجع.

(2) محمد، غاليم، 2021، ص، 181.

(3) يميل النحو التوليدي المعيار أو التقليدي إلى التركيز على مقولة هامبولدت Humboldt: الاستعمال اللامحدود للوسائل المحدودة، وبالتالي يهتم النحو التوليدي المعيار، في المقام الأول، باستخدام القواعد لبناء جمل جديدة. انظر، ص، 12، من مقال جاكندوف 2015.

(4) يتلخص وعد شومسكي في: "أن وظائف اكتساب اللغة.. واستعمالها.. لا تنفصل عن مكونات الذهن المجرد والدماغ الفيزيائي [...] ومن أبرز مجالات دراسة هذه العلاقة بين ملكة اللغة وباقي الملكات... [نجد] المستوى الصوري، والمستوى النفسي/الوظيفي، والمستوى العصبي، والمستوى الأحيائي/التطوري". وانظر للتوسع، غاليم، 2021، صص، 46-48، والمراجع المذكورة هناك.

تأليفية خاصة، تجعلها مستقلة عن بنية التركيب⁽¹⁾؛ كما هو الحال مثلاً مع الأدوار المحورية التي تستقل عن تحققاتها المعجمية والتركيبية، فلا تتغير رغم تغير التركيب. ومن هنا صارت الهندسة المتوازنة إطاراً للنظرية اللسانية التي تحافظ على المنطلقات الذهنية والأحيائية للنحو التوليدي، مع فسحها المجال لعلاقات مباشرة بين نظريات البنية اللسانية ونظريات معالجة اللغة بشكل واضح⁽²⁾.

2- أ-3- بخصوص المعجم والنحو:

تقترح نظرية الدلالة التصورية إمكانية التخلي عن الفصل الصارم بين المعجم والنحو، وتفكر في القواعد النحوية كجزء لا يتجزأ من المعجم، عكس شومسكي في المظاهر حيث يعتبر المعجم مجالا غير منتظم داخل اللغة، وأن ما ينظمه هي القواعد التركيبية، عبر قواعد الإدماج، ويتجاوز الفصل بين المعجم والنحو أصبحت كل كلمة في المعجم ذات هندسة ثلاثية، أي عبارة عن ترابط بين قطعة فنولوجية، وسمات دلالية مركبة، وبعض القواعد التركيبية، ويخزن الكل في الذاكرة البعيدة المدى، وبذلك تكون الكلمة عبارة عن قاعدة وجاهية تربط بين الأجزاء الثلاثة للبنية، ويكون الشكل العام للمدخل المعجمي لكلمة معينة ثلاثياً، يمثل لكل مستوى في صف مخصوص بما يمتلكه من سمات وخصائص، مثلاً كلمة "قط" يمثل لها على الشكل التالي:

(1) الاستثناءات هي التحليل الدلالي الضمني عند لاندور ودوماي (1997)،؛ الدلالة الطبيعية فوق لغوية (فيرزبكا 1996 Wierzbicka). ويقترحون جميعهم أن التفسير الخالص للمعنى يظهر في كلمات اللغة الطبيعية البحتة فقط.

(2) وبالإضافة إلى هذه المنطلقات؛ تفتح هندسة التوازي المجال لتفسير مباشر ضمن شروط التحليل والمعالجة، مما جعلها تجد أجوبة عن أسئلة لا يقوى التركيب بمفرده على تفسيرها، كجمل-مسار الحديقة، (garden-pathing)، مثل جملة تبدأ ب: "فر الرجل.." التي نفهم منها "هرب الرجل"، قبل أن يأتي مفعولها، وحين نتممها بكلمة "الحصان"، يتحول المعنى من "هرب الرجل" إلى "فتح الرجل فم الدابة للكشف عن أسنانها ليرى ما عمرها. والجمل المسكوكة مثل (القي عصا التسيار)، التي تعني مات، وجمل القسر الجهي، (لمع الضوء حتى الصباح) التي تتضمن التكرار، وجمل التأليف المغنى (الكرش يريد شواء) أي الرجل صاحب الكرش الكبيرة يطلب طابق شواء، التي يتم تفسيرها عبر تجميع أجزاء البنية المخزنة في الذاكرة البعيدة، ضمن الذاكرة المشتغلة، حيث تتنافس البنيات البديلة من أجل خرج واضح.

— فونولوجيا، /kæt/قط/

— تركيبياً: + اسم + مفرد..

— دلاليًا: صورة القط

وكل هذا يدفع إلى التخلي عن افتراض أن المعجم هو مجرد لائحة من الكلمات، بدليل وجود التعابير المسكوكة في اللغات، تعابير لا يكون فيها المعنى تأليفياً خاضعاً للتركيب، ولا يقدم التركيب أي سمات تساعد على فهم المعنى في هذه التعابير، إذ لا يمكن دمج الوحدات المعجمية، التي تشكل المسكوكات، في الأشجار التركيبية كلمة بكلمة، لأنها تصطدم بكون "[الكلمات] المفردة المكونة للعبارة المسكوكة [لا تحمل] أي معنى مستقل في الواقع"، فهي تحيل مجتمعة على كلمة واحدة⁽¹⁾. وهكذا تمت صياغة القواعد التحويلية، في إطار الهندسة الثلاثية، باعتبارها خطاطات مخزنة في المعجم، حيث تمتلك الوحدات المعجمية بنية داخلية ممبداً، وحيث القواعد التركيبية مجرد جزء من المعجم، لتصبح الكلمات "نمطاً من القواعد الوجهية التي تقيم توافقاً جزئياً بين قطع من البنية الصوتية والتركيبية والدالية"⁽²⁾، دون أن تكون السمات الصوتية والدالية جزءاً من البنية التركيبية؛ بل تتفاعل المستويات من خلال خصائصها الداخلية لتساهم في تشكيل المعنى. وبهذه المرونة بدت الهندسة الثلاثية أكثر أناقة وأفضل من الاعتماد على مكون توليدي واحد. فأين تتأكد هذه الأفضلية؟

2-أ-4 أفضلية هندسة التوازي:

مما يؤكد أفضلية الهندسة الثلاثية عن النموذج المعيار، أنها تدافع عن استقلالية المستويات اللغوية بمبادئها الداخلية، من جهة، وتفاعلها عبر الوجهات من جهة أخرى، كما أشرنا سابقاً، وتتمثل حجج الاستقلال بين مستويات اللغة، في كون بعض الكلمات في اللغات الطبيعية تمتلك بنية فونولوجية ودالية لكنها بدون تركيب، مثل: (مرحباً، آه، نعم، عفواً، تقريباً، باخ، ...) كما نجد التعابير المسكوكة، والاستعارات،

(1) جاكندوف، 2007، ص، 142. وانظر الهامش 33 أسفله.

(2) نفسه، ص، 141.

وبنيات التأليف المغنى وغيرها كثير⁽¹⁾، التي تمتلك تركيباً لكن المعنى يوجد خارجه، وهي ظواهر غالباً ما يتجاهلها النحو التوليدي السائد، ولا يسهل تفسيرها ضمن الإطار التركيبي؛ إلا أنها تظهر في هندسة التوازي وفي النحو البنائي كتنويغات في موضوع ما⁽²⁾، أي عبارة عن أجزاء مخزنة من التراكيب النحوية والدلالية المترابطة، وقد ترتبط بالفنولوجيا أحياناً وقد لا ترتبط بها (مثل الضمائر المستترة)⁽³⁾، وعلى النظرية المعرفية للغة ألا تتجاهل مثل هذه الظواهر أو تعتبرها نوعاً من الشذوذ الاستثنائي، لأن كل اللغات تتوفر على مثل هذه الظواهر⁽⁴⁾.

تقترح هندسة التوازي، وجود مستوى من التمثيل الذهني يسمى التركيب الفضائي، والذي يدمج إدراك الأجسام الموجودة في الفضاء الفيزيائي، عبر الرؤية، واللمس، ومدخلات الحس العميق؛ ويكون ارتباط البنية الفضائية بالبنية الدلالية عبر وجه يشبه في طبيعته الوجاهات داخل ملكة اللغة⁽⁵⁾، حيث يتم تخزين بعض الترابطات بين البنية الدلالية والبنية الفضائية في الذاكرة البعيدة المدى، كما يحصل مثلاً مع كلمة «قط» التي تعد مقولة دلالية مرتبطة بمقولة حيوان في البنية الدلالية، ومرتبطة بالبنية الفنولوجية على شكل رموز صوتية / kæt / في الذاكرة البعيدة أيضاً، ولكن كلمة قط هذه ترتبط أيضاً بالبنية الفضائية، التي ترمز الشكل الذي تبدو عليه القطط، ويعني ذلك في هندسة التوازي "مثلاً للنمط النموذجي" ويُفترض

(1) من قبيل: (القى عصي التسيار) التي تعني "مات" في العربية، وهو ما تعنيه جملة (kick the bucket) في الانجليزية، وجملة (casser sa pipe) في الفرنسية، ثم التعابير الاستعارية من قبيل: (هدرت الحافلة حول الزاوية) التي لا تتوفر على فعل حركة في حين نفهم أن هناك حركة الحافلة، فكيف نفهم معاني هذه التعابير التي لا يحمل التركيب أي تلميح إليها.

(2) النحو البنائي: مجموعة من النظريات في مجال اللسانيات المعرفية التي تفترض أن البنيات اللغوية أو قرن أصوات لغوية بالمعاني، هي اللبنيات الأساسية للغة البشرية.

(3) "قد ترى الصوتية" بعض الحدود التركيبية لكنها لا "تري" عمق الإدماج التركيبي، إذ تشكل أداة التعريف والاسم في المعطى: القط، مثلاً، كلمة صوتية واحدة، لكن يشكل هذا المعطى في التركيب مقولتان اثنتان: الحد والاسم. كما أن التركيب لا "يرى" المحتوى القطعي للكلمات الصوتية، ولذلك ليس هناك قاعدة تركيبية لا تنطبق إلا على الكلمات المبتدئة بباء مثلاً. وانظر غاليم 2008، ص. 71.

(4) جاكندوف راي، 2015، دفاعاً عن النظرية، ص، 10.

(5) Jackendoff, 2006, P,18.

أن يتم حساب الترابطات الأخرى بشكل إدماجي مباشر؛ فالبنية الفضائية، مثلاً، التي تنشأ عن الجملة:

"ضع التفاحة على المائدة"

ليست تمثلاً مخزناً في الذاكرة، بل يجب تعيينه مباشرة في البنية الدلالية: [ضع تفاحة [على [المائدة]]]؛⁽¹⁾ ويجب أن تعتبر هذا البنية الفضائية، ضمن جزء آخر من الذاكرة الآنية/المستغلة، جزءاً يرمز تصور الفرد للنسق الفضائي المنظور إليه؛ فحين يسمع المخاطب مثل هذه الجملة التي تعين الفضاء المادي، لا تحصل المعالجة بهدف إنتاج بنية دلالية فقط، بل يمكن ربط هذه البنية الدلالية بالبنية الفضائية المنظور إليها عبر الوجه الدلالي الفضائي.

وبهذا تفتح هندسة التوازي آفاقاً لنوع جديد من الارتباط بين النظرية اللغوية والاهتمامات الأوسع لعلم النفس المعرفي، ويعد هذا سمةً جذابة للمقاربة، سمة لا يمكن معالجتها بجدية في إطار النظرية اللسانية المعيار، حيث يكون المعجم لائحة غير منظمة؛ "إن هندسة قالب نظريه الذهن مبنية فعلاً من مكونات أو قوالب فرعية؛ وهي مكونات متوازية مستقلة بنوع الوظائف والعمليات التي تختص بها كما رأينا؛ فلا تشتق تأليفية أي مكون منها من تأليفية مكون آخر؛ لكنها مكونات متضافرة متفاعلة؛ ودليل توازيها واستقلالها -كما يصح في مكونات قدرات أخرى أيضاً- هو أن بعض هذه المكونات قد يصاب فيتعطل دون أن تتعطل المكونات الأخرى"⁽²⁾.

2- ب هندسة التوازي القالبية في النسق البصري:

أبانت العلوم العصبية التي اهتمت بدراسة النسق البصري، أن هذا الأخير قائم على نفس الهندسية العامة التي يقوم عليها نسق القدرة اللغوية، أي أن هناك مناطق مستقلة في الدماغ متخصصة الدخل؛ فالمنطقة المسؤولة عن رؤية الحجم لا ترى سواه، والمسؤولة عن رؤية الشكل مختصة به، وقس على ذلك، في المناطق الأخرى

(1) التي توازي تصويرياً: [ضع [تفاحة؛ تع؛ [مكان؛ على س]] مكان. وتوازي تركيبياً: [م ف ضع م س التفاحة] م ح على م س]].

(2) غاليم، 2021، ص، 300.

المسؤولة عن اللون والحركة والعلاقات الفضائية، إلا أن تلك المناطق تشتغل وفق وجاهات داخلية محددة؛ لتعطي خرجاً موحداً حول رؤية الأشياء، ويتفاعل النسق البصري مع النسق اللغوي، عبر وجاهات خارجية، فبين البنية التصويرية والتمثيل الفضائي، مثلاً، وجاه يربط بين النسق البصري والنسق اللغوي، بحكم أن المشترك بين النسقين موضوع فيزيائي، وتشتبك البنية التصويرية والتمثيل الفضائي في المكان والمسار والحركة، التي تعد مركزية في البنية التصويرية، وكما هو الحال في توازي النسق النحوي اللغوي، تتوازي مكونات النسق البصري عبر وجاهات محددة متفاعلة في ما بينها "ولا توجد منطقة يتشكل فيها التمثيل التام للحقل البصري دفعة واحدة"⁽¹⁾. فإذا كانت هندسة التوازي القالبية في اللغة قائمة على توازي البنية الصوتية والبنية التركيبية والبنية التصويرية عبر مكونات وجاهية، فإن هندسة النسق البصري تتفاعل عبر وجاهات مستقلة أيضاً ومحددة؛ بحكم أن التمثيل النهائي للحقل البصري لا يحصل في منطقة واحدة من متعلقات البصر، وإنما يشتغل عبر مناطق متعددة مستقلة، باعتبارها قوالب متخصصة الدخول مستقلة، لا تتوقف عند الإدراك فقط، "بل كل قالب يقوم بعمليات مستقلة متخصصة لانتقاء الجواب"⁽²⁾، من خلال تجزيء العالم وتفحص أجزائه وإدراك العلاقات بينها باعتبارها بناءً تصورياً مكتسباً عن العالم الفيزيائي.

وعلاوة على ذلك فإن النسق البصري لا ينفصل عن الأنساق المعرفية التصويرية باعتبارها فكراً، كما أنه مصدر من مصادر المعرفة التي يخزنها الذهن البشري، ومتفاعل مع البنية المعرفية وما ترمزه من ذاكرة وفكر وبنيات معرفية أخرى، إذ بالتحليل البصري نكشف عما يوجد في العالم من معلومات ونتمثلها ذهنياً، وفق شروط يستجيب لها تمثيلنا الداخلي.

وإذا كان التمثيل الفضائي في البنية التصويرية ذا هندسة جبرية، يستطيع تمييز الفرد من الجنس، والكتلة من المعداد، والعام من الخاص.. فإنه في التمثيل الفضائي

(1) غالي، محمد، 2021، ص، 232.

(2) نفسه، ص، 232.

البصري هندسي التمثيل، "يرمز تفاصيل أشكال الموضوعات بمختلف أنواعها" من مكان وغيره من المسميات المنظورة، كأشكال "طبيعية تماما في التمثيل الفضائي" حاملة لـ "تفاصيل هندسية تستعصي على نوع الترميز الجبري الذي تسمح به البنية التصويرية⁽¹⁾."

وإذا كان الوجه الرابط بين البنية التصويرية والبنية الفضائية عاما، كما تمت الإشارة إليه، فإنهما يمكن أن يُربطا عبر علاقة وصل فردية، على أساس أن التعبير عن الموضوعات الفيزيائية يكون عادة بالأسماء، ومن ثمة يمكن تعلم تلك العلاقات الفردية وتخزينها في الذاكرة، وبالتالي التعبير عنها في مداخل معجمية للاسم/ الموضوع الفيزيائي، فلكل اسم أصوات تدل عليه، مثلاً كلمة "كلب" لها تمثيل صوتي، (هو القيمة المطلقة للأصوات التي تشكلها) /كلب/، ولها تمثيل تركيبى « + اسم، فعل، + معدود، مفرد...»، ولها بنية تصويرية « فرد، نمط من الحيوان، نمط من اللواحم»، وله وظيفة/ « نمط من الحيوانات الأليفة في الغالب»، وله تمثيل فضائي/ «نموذج ثلاثي الابعاد/بوسعه أن يتحرك»، وله تمثيل سمعي/ «نباح». وهكذا يمكن "ترميز معرفتنا بالهيئة التي تبدو عليها الموضوعات" ضمن نموذج ثلاثي الابعاد ترميزا مجردا، كما يمكن "ترميز معطيات الحواس الأخرى" ضمن "مداخل معجمية"⁽²⁾.

ويتعلق النسق البصري واللغوي بـ"ترجمة في الاتجاهين معاً؛ إذ مثلما نتحدث عما نراه، نرى ما نتحدث عنه"، ونعطي مضموناً لترجمة ما يحصل بين الملكة البصرية والفضائية، عبر الوجه التصويري الفضائي، بحيث يسمح هذا الوجه بإعادة تشكيل المعلومات التي يمدنا بها البصر، من خلال البنية التصويرية؛ باعتبارها "شكلاً مناسباً للترميز في اللغة" كما أن فهم ما نسمع من كلام يحدث فينا بنية تصويرية توافق البنيتين الصوتية والتركيبية، ثم يعاد تشكيل تلك البنية التصويرية في بنية فضائية، قصد توجيه الانتباه إلى ما يحضر في الحقل البصري⁽³⁾.

(1) نفسه، ص، 184.

(2) نفسه، ص ص، 240 - 241.

(3) نفسه، ص، 238.

2 - ج هندسة التوازي في الموسيقى:

لقد بين محمد غاليم (2021)، أن بين اللغة والموسيقا تشابهات كثيرة، من حيث الصوت والصمت والإيقاع وغيرها، مما جعلهما محط اهتمام ضمن مجال العلوم المعرفية، التي عمقت البحث في هندستهما الصورية والعصبية، مع مقارنتهما والكشف عن البنيات الأساس التي تجمع بينهما، وقد كان الاهتمام بالموسيقا وتحليلها باستعمال أدوات اللسانيات التوليدية، من خلال التركيز على السامع والمبادئ اللاواعية التي يفهم من خلالها القطع الموسيقية المألوفة لديه، واكتساب النحو الموسيقي عمومًا، "والموارد المعرفية التي تجعل التعلم ممكناً"، ودور الفطرة في اكتساب الموسيقا، وكذا البحث في الموسيقا باعتبارها ذات قدرتين: الأولى ضيقة خاصة بالقالب الموسيقي، والثانية واسعة ناتجة عن "قدرات معرفية عامة"، وهي أمور كلها طرحت كأسئلة بُني عليها البحث في الملكة اللغوية، وقد ثبت أن بين اللغة والموسيقا مظاهر اختلاف واتلاف عامة، وأخرى صورية، و"أن البنيتين السلميتين في اللغة والموسيقا مدمجتان في نفس الجزء من الدماغ" ف "بين التركيب اللغوي والموسيقا ترابط عصبي عميق في الدماغ"، يحصل في ما أسماه باتل "الاندماج التركيبي المشترك"؛ لأن "التحليل التركيبي الموسيقي يشغل المناطق الخاصة باللغة في الدماغ"⁽¹⁾؛ وما يبين ذلك أن تنافر الأوتار في متوالية هارمونية ينتج نفس الإشارات التي ينتجها خرق قواعد التركيب اللغوي في الدماغ؛ فالنشاز في الموسيقا هو بمثابة اللحن في اللغة، كما اثبت ذلك باتل وفريقه، بحيث انتج النشاز المقحم في متوالية هارمونية ما يسمى بالنبض الكهربائي p:600، ومثله يُنتج عند إقحام وحدة لغوية لا تنسجم مع باقي عناصر الجملة لدى المستمعين.

ومن بين مظاهر هذا التوازي بين اللغة والموسيقا، أن هذه الأخيرة تقوم على أربع بنيات توليدية مستقلة، هي «البنية الإيقاعية»، و«البنية التجميعية»، و«البنية الوزنية»، و«بنية اختزال المدة الزمنية»، و"لكل واحدة منها تفضيلاتها المثلى، وترتبط [...] عن

(1) نفسه، ص، 203 - 204.

طريق قواعد تفضيل تخصص التوافقات المثلى. فقواعد الربط هذه كانت تشكل في الموسيقى ما يعادل في الهندسة المتوازية الوجاهات بين مختلف البنيات، أي إنها قواعد تَخْلُق توافقات بين مختلف صور التمثيل الذهني..وبذلك صار "تنظيم النحو الموسيقي سابقة للهندسة المتوازية في اللغة"⁽¹⁾. ف" البنية التمديدية ترمّز إدراك السامع للتكرار في بنيات التوتر والانفراج"⁽²⁾، والبنية التجميعية "ترمز الانتظام الموسيقي في مجموعات قابلة لأن تدمج بكيفية غير متناهية العمق".

ويتقاسم النسق الموسيقي، والنسق اللغوي في بنيته الصوتية، مفهوم الإيقاع، بحيث يلاحظ بينهما توازن كبير، فهما معا يقومان "على شبكة وزنية سُلّمية"، ومع ذلك، نجد لكل نسق طريقته وخصوصياته في تشكيل إيقاعه، فالإيقاع في الموسيقى، يكون حرا بحيث يمكن تمديد النغمة الواحدة لتستوعب نبضات/ طرقات متعددة، أو تقصيرها فتُقَسَّم "الطريقة الواحدة على نغمات متعددة"، مع ذلك يتطلب النسق الموسيقي تساويا زمنيا إجباريا. أما البنية الصوتية للغة فمقيدة بالمقطع، أو بـ "متوالية مبنية من أصوات الكلام" وكل مقطع يوافق طريقة واحدة في ميزان الكلام، أو "الشبكة الوزنية"، ولا تحتاج الشبكة الوزنية -في الكلام- أن توصف "بالتساوي الزمني"⁽³⁾. ونجد اختلافاً جوهرياً بين التركيب الموسيقي والتركيب اللغوي، حيث إن الأول تركيب لا يخضع لسُلّمية مرؤوسة، بحيث لا تفرض النغمة الرأس أن تكون التي تليها على شكل/امتداد محدد، والمهم هو احترام امتداد الجملة لقيمة الإيقاع/ الوزن، لأنه مقيد بالكيف التابع للتساوي الزمني الإجباري، لا للكم، أي مدة الشكل النغمي، في حين نجد التركيب اللغوي خاضعاً لنظام سُلّمي مرؤوس صارم، بحث تكون الرؤوس موجّهة لما يجب دمجها بعدها⁽⁴⁾.

(1) جاكندوف، 2007، ص، 17.

(2) غاليم، 2021، ص: 79.

(3) نفسه، 197.

(4) انظر، بخصوص مبادئ الاختلاف والانتلاف في الموسيقى واللغة، غاليم، 2021، ص ص، 196 - 203.

خاتمة

لقد أظهرت نظرية الدلالة التصورية، من خلال الهندسة المتوازية، كما صاغها محمد غاليم، أهمية مجموعة من القضايا التي همشها التيار التوليدي الرئيس، فقد وضعت دراسة ملكة اللغة ضمن نظرية الذهن؛ فأصبح هذا الأخير هو "تنظيم الدماغ ونشاطه الوظيفيين"⁽¹⁾؛ وحررت مكونات الذهن وجعلتها مستقلة ومتفاعلة في الوقت نفسه، ومن ثمة لم يعد الذهن أحادياً ولا سلسلياً؛ كما ربطت الذهن بالأنساق الإدراكية الأخرى، وجعلت الفكر سابقاً على اللغة؛ بل يحقق بدونها حوسبات توليدية وتمثيلات مجردة في الرياضيات والاختلاق والموسيقا⁽²⁾، وأثبتت وجود قدرات معرفية قبلية تتمثل في قواعد التأليف الدلالي، التي تمكن الفرد من قراءة البنيات التكرارية وفهمها، كما تجاوزت أيضاً النظرية التي تربط اللغة بنماذج رياضية، أو بالعالم مباشرة⁽³⁾؛ لقد جعل محمد غاليم من الربط بين البعد الأحيائي والمعرفي للغة وعلاقاتها بالواقع وبأنساق معرفية إدراكية أخرى مجالاً نشطت فيه الأبحاث اللسانية وما تزال.

(1) نفسه، ص: 23.

(2) نفسه، ص، 121.

(3) نفسه، ص، 23.

- جاكندوف، راي، 2002، "الدلالة مشروعا ذهنيا"، ترجمة محمد غاليم، ضمن كتاب: دلالة اللغة وتصميمها، ترجمة محمد غاليم، ومحمد الرحالي، وعبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007.
- جاكندوف راي، 2007، اللغة والوعي والثقافة، أبحاث في البنية الذهنية، ترجمة محمد غاليم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2020.
- غاليم، محمد، 1987، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء.
- غاليم، محمد، 1999أ، المعنى والتوافق، مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، المغرب.
- غاليم، محمد، 1999ب، "بعض الخصائص الدلالية في اللغة العربية"، مجلة فكر ونقد، عدد 24، الدار البيضاء.
- غاليم، محمد، 2007، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارن، مبادئ وتحاليل جديدة، دار توبقال للنشر.
- غاليم، محمد، 2008، "بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي"، مجلة فكر ونقد، السنة العاشرة، عدد 96، الدار البيضاء.
- غاليم، محمد، 2021، اللغة بين ملكات الذهن، بحث في الهندسة المعرفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.
- Jackendoff, Ray, 1989, "What is a Concept, that a Person May Grasp It?", Mind and Language, Vol. 4 Nos. 1 and 2.
- Jackendoff, Ray, 2002, FOUNDATIONS OF LANGUAGE, Brain, Meaning, Grammar, Evolution, Oxford University Press.

- Jackendoff, Ray, 2015, " In Defense of Theory", Cognitive Science 41, pp. 185–212, DOI: 10.1111/cogs.12324.
- Landauer, T. K. and Dumais, S. 1997, " A Solution to Plato's Problem ", Psychological Review Vol. 104, No. 2, pp. 211 - 240.
- Toivonen, Ida, Csúri, Piroška and van der Zee, Emile, (eds.), 2015, Structures in the Mind, Essays on Language, Music, and Cognition in Honor of Ray Jackendoff , The MIT Press.
- Wierzbicka, A. 1986, Human Emotions: Universal or Culture-Specific?, American Anthropologist, New Series, Vol. 88, No. 3, pp. 584 - 594.